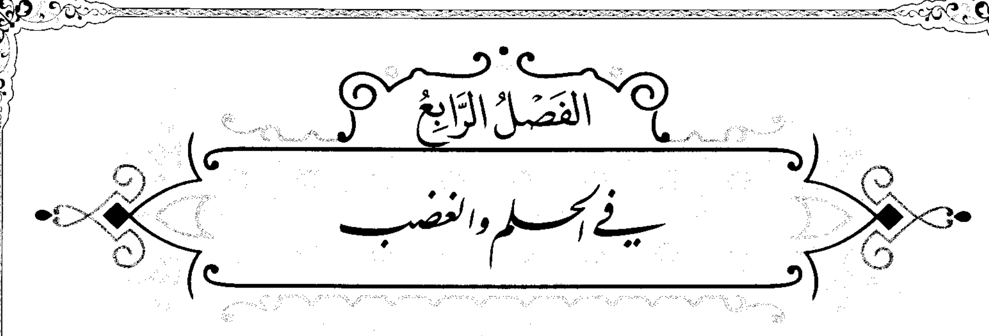


روىٰ محمود بن حارث الهلاليُّ : أنَّ جبريلَ عليه السلام نزل على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : (**يا محمّدُ ؛ إنِّي أتيتُكَ بمكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة** : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾)[1] .

وروىٰ سفيان بن عيينة : أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال حين نزلت هٰذه الآية ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ : « **يا جبريلُ ؛ ما هٰذا ؟** » قال : لا أدري حتىٰ أسألَ العالمَ ، ثم عاد جبريل وقال : « **يا محمدُ ؛ إنَّ ربَّكَ يأمرك** : أن تصلَ مَن قطعَكَ ، وتُعطِيَ مَن حرمَكَ ، وتعفُوَ عمَّن ظلمَكَ »[2] .

وروىٰ هشام ، عن الحسن : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « **أيعجز أحدُكم أنْ يكونَ كأبي ضَمْضَمَ** ؟ كان إذا خرجَ مِن منزلِهِ . . قال : **اللّٰهمَّ ؛ إنِّي قد تصدَّقتُ بعِرْضي علىٰ عبادك** »[3] .

ورُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « **إنَّ اللهَ تعالىٰ يحبُّ الحَليمَ الحَيِيَّ** ، ويُبغِضُ الفاحشَ البذِيَّ »[4] .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**مَن حلُمَ** . . ساد ، **ومَن تفهَّم** . . ازداد)[5] .

---

(١) أورده الإمام مكي ابن أبي طالب القيسي في « الهداية إلىٰ بلوغ النهاية » (٤/ ٢٦٩٢) ، والدميري في « حياة الحيوان الكبرىٰ » (٣/ ٤٥٣) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٦/٩/١٩٣) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٥) .

(٣) رواه البزار في « مسنده » (٧٢٦٩) ، وابن السنّيّ في « عمل اليوم والليلة » (٦٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ١٩٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٥) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٣/ ٣٣٠) ، و« العقد الفريد » (٣/ ١٥٧) ضمن وصيته لابنه محمد رضي الله عنهما .

وقال بعض الأدباء : (**مَن غرسَ شجرةَ الحِلْم . . اجتنىٰ ثمرةَ السِّلْم**) .

وقال بعض البلغاء : (**ما ذَبَّ عن الأعراض كالصَّفح والإعراض**)[١] .

وقال بعض الشعراء[٢] : [من الوافر]

أحبُّ مَكارِمَ الأخلاقِ جهْدي ... وأكرَهُ أنْ أَعِيبَ وأنْ أُعابا
وأصفَحُ عن سِبابِ النّاسِ حِلْماً ... وشرُّ النّاسِ مَن يَهوَى السِّبابا
ومَن هابَ الرِّجالَ تهيَّبُوهُ ... ومَن حقَرَ الرِّجالَ فلن يُهابا

والحِلمُ من أشرف الأخلاق وأحقِّها بذوي الألباب ؛ **لما فيه من سلامة العِرض** ، وراحة الجسد ، واجتلاب الحمد .

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**أوّلُ عِوَض الحليم عن حِلمه . . أنَّ الناس أنصارُه**)[٣] .

وحدُّ الحِلم : ضبطُ النفس عن هيَجان الغضب ، وهـٰذا يكون لباعث وسبب .

وأسباب الحلم الباعثة علىٰ ضبط النفس **عشرة** :

أحدها : الرحمة للجهّال ؛ وذلك من خيرٍ يوافق رقَّة .

وقد قيل في منثور الحكم : (من **أوكد أسباب الحلم** : رحمةُ الجُهّال) .

وقال أبو الدرداء لرجلٍ أسمعه كلاماً : (**يا هـٰذا ؛ لا تُغرقَنَّ في سَبِّنا ، ودَعْ للصُّلح موضعاً ؛ فإنَّا لا نُكافىء مَن عصى اللهَ فينا بأكثرَ من أن نُطيعَ اللهَ فيه**)[٤] .

---

(١) ما ذبَّ : ما دفع وطرد .

(٢) أورد الأبيات في « العقد الفريد » (٢/ ٢٨٤) للحسن بن رجاء ، و« البصائر والذخائر » (٢/ ١٤٨) للحسين بن مُطير الأسديّ ، وجهدي ؛ بالضم : الطاقة ، وبالفتح : المشقة .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الحلم » (١٢) ، وأورده في « عيون الأخبار » (١/ ٢٨٥) .

(٤) رواه في « الجليس الصالح » (٣/ ١٤٥) ، و« تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٧) بين عمر بن ذرّ وابن عياش رحمهما الله تعالىٰ .

وشتم رجلٌ الشعبيَّ ، فقال : (إن كنتُ كما قلتَ . . **فغفر اللهُ لي** ، وإن لم أكن كما قلتَ . . **فغفر اللهُ لكَ**)[1] .

واغتاظت عائشة رضي الله عنها علىٰ خادمٍ لها ، ثم رجعت إلىٰ نفسها ، فقالت : (**للهِ درُّ التقوىٰ ، ما تركت لذي غيظٍ شفاءً**)[2] .

وقسم معاوية رضي الله عنه قُطُفاً ، فأعطىٰ شيخاً من أهل دمشق قطيفةً فلم تعجبه ، فحلف أن يضربَ بها رأسَ معاويةَ ، فأتاه فأخبره ، فقال له معاوية : (**أَوْفِ بنذرِكَ ، وليرفقِ الشيخُ بالشيخ**) .

والثاني من أسبابه : القدرة على الانتصار ، وذلك من سعة الصدر ، وحسن الثقة .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إذا قدَرتَ علىٰ عدوِّكَ . . فاجعلِ العفوَ عنه شُكْراً للقُدرةِ عليه** »[3] .

وقال بعض الحكماء : (**ليس من الكرم عقوبةُ مَن لا يجد امتناعاً من السَّطوة**)[4] .

وقال بعض البلغاء : (**أحسنُ المكارم** : عفوُ المقتدر ، وجُودُ المفتقر)[5] .

والثالث من أسبابه : الترفُّع عن السِّباب ؛ وذلك من شرف النفس ، وعلو الهمة ؛ كما قالت الحكماء : (**شرفُ النفس** : أن تحمل المكاره كما تحملُ المكارمَ) .

---

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٠٠) ، و« تاريخ دمشق » (٢٥/ ٣٨١) .
(٢) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١/ ١٤٥) .
(٣) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص٣٨) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤/ ١٠٤) من قول سيدنا علي كرم الله وجهه .
(٤) أورده في « غرر الخصائص » (ص٣٢٥) .
(٥) أورده في « المستطرف » (١/ ٩٠) .

وقد قيل : (إنَّ الله تعالىٰ سمّىٰ يحيىٰ عليه السلام سيِّداً ؛ لحِلمه)[1] .

وقال الشاعر[2] : [من البسيط]

لن يبلغَ المجدَ أقوامٌ وإنْ كرُمُوا حتّىٰ يَـذِلُّـوا وإنْ عَـزُّوا لأقـوامِ
ويُشتَمُـوا فتـرى الألـوانَ مُسفِـرةً لا صَفْحَ ذُلٍّ ولٰكنْ صَفْحَ أحلامِ

والرابع من أسبابه : الاستهانة بالسبَّاب[3] ؛ وذلك عن ضرب من ضروب الكِبْر والإعجاب ؛ كما حُكي : عن مصعب بن الزبير : أنه لمّا ولي العراق.. جلس يوماً لعطاء الجند ، وأمر مناديَه فنادىٰ : (أين عمرو بن جُرْمُوز ؟) وهو الذي قتل أباه الزبيرَ ، فقيل له : أيُّها الأميرُ ؛ إنه قد تباعد في الأرض ، فقال : (أوَظنَّ الجاهل أنِّي أُقِيدُه بأبي عبد الله ؟ فليظهرْ آمناً ، وليأخذْ عطاءَه موفَّراً) فعدَّ الناس ذلك من مستحسَن الكِبر[4] .

ومثل ذلك قولُ بعض الزعماء في شعره[5] : [من الكامل]

أوَكلَّمـا طـنَّ الـذُّبـابُ طـردتُـهُ إنَّ الـذُّبـابَ إذاً علـيَّ كـريـمُ

وأكثرَ رجلٌ من سبِّ الأحنف وهو لا يجيبهُ ، فقال : (والله ؛ ما منعه من جوابي إلا هَواني عليه)[6] .

وفي مثله يقول الشاعر[7] : [من المتقارب]

نَجـا بـكَ لـؤمُـكَ مَنجَـى الـذُّبابِ حَمَتْـــهُ مقـــاذِرُهُ أن يُنـــالا

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٣/ ٣/ ٣٢٧) عن قتادة وسعيد بن جبير رحمهما الله تعالىٰ .
(٢) أورد البيتين في « الجليس الصالح » (٣/ ٣٣٤) ، و« الحماسة البصرية » (٢/ ٧٩١) لعبيد الله بن زياد الحارثيّ .
(٣) في (هـ) : (الاستهانة بالمسيء) .
(٤) أورده في « الأوائل » (ص١٤٦) .
(٥) أورد البيت في « مجالس ثعلب » (٢/ ٣٤٥) ، و« المنتحل » (ص١٣٤) .
(٦) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٧٩٩) ، و« عيون الأخبار » (١/ ٢٨٣) .
(٧) البيت لإبراهيم الصوليّ في « ديوانه » (ص١٦٣) ضمن « الطرائف الأدبية » .

وأسمع رجلٌ ابنَ هُبَيرةَ ، فأعرض عنه ، فقال له الرجل : (**إيّاك أعني** ، فقال : **وعنكَ أُعرِض**)[1] .

وفي مثله يقول الشاعر[2] : [من الكامل]

فاذهَبْ فأنتَ طَليقُ عِرْضِكَ إنَّهُ ... عِـرْضٌ عَـزَزْتَ بـهِ وأنـتَ ذلَيـلُ

وقال عمر بن علي[3] : [من الوافر]

إذا نطَـقَ السَّفيـهُ فـلا تُجِبْـهُ ... فخيـرٌ مِـن إجـابتِـهِ السُّكُـوتُ
سكَـتُّ عـن السَّفيـهِ فظـنَّ أنِّـي ... عَيِيـتُ عـنِ الجَـوابِ ومـا عَيِيـتُ

والخامس من أسبابه : الاستحياء من خَنا الجواب ، وهـٰذا يكون من صيانة النفس ، وكمال المروءة .

وقد قال بعض الحكماء : (**احتمالُ السَّفيه أيسرُ من التحلِّي بصورته ، والإغضاءُ عن الجاهل** خيرٌ من مشاكلته) .

وقال بعض الأدباء : (**ما أفحشَ حليمٌ ، ولا أوحشَ كريمٌ**) .

وقال لَقيط بن زُرارة[4] : [من الطويل]

وقُلْ لبَني سعدٍ فما لي وما لكُمْ ... تُـرِقُّـونَ منِّي مـا استطَعْتُـمْ وأُعتِـقُ
أغـرَّكُـمُ أنِّـي بـأحسـنِ شِيمـةٍ ... بصيـرٌ وأنِّـي بـالفـواحـشِ أخـرَقُ
وإنْ تَـكُ قـد فـاحشتني فقهَـرتَنـي ... هنيئاً مريئاً أنتَ بالفُحْشِ أحذَقُ

---

(١) أورده المبرّد في « الكامل » (٢/ ٩٨٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/ ١٢٣) .

(٢) البيت لمسلم بن الوليد صريع الغواني في « ديوانه » (ص٣٣٤) ، ونُسب لدعبل في « ديوانه » (ص٤١٢) .

(٣) أورد البيتين في « الزهرة » (٢/ ٢٠٤) لأبي الدُّلَف ، و« روضة العقلاء » (٢/ ٥٥٥ـ ٥٥٦) قال : أخبرنا محمد بن المنذر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد العنبري قال : سمعت سَلْم بن ميمون الخوّاص .

(٤) البيتان الأخيران في « ديوان المعاني » (١/ ٨١) ، و« الزهرة » (٢/ ٢٠٠) ، **وأخرق** : أحمق ، **وفاحشتني** : إن طلبت المغالبة في الفحش فغلبتني وقهرتني . . بورك لك ذلك السبق ؛ فأنت أحذق بالفحش وأعلم به !! .

والسادس من أسبابه : التفضُّل على السّابِّ ، وهـٰذا يكون من الكرم ، وحبِّ التألُّف ؛ كما قيل للإسكندر : (إنَّ فلاناً وفلاناً يتنقَّصانك ويثلِبانك ، **فلو عاقبتَهما !!** فقال : **هما بعد العقوبة أعذرُ في تنقُّصي وثَلْبي**) فكان هـٰذا تفضُّلاً منه وتألُّفاً .

وقد **حُكي** عن الأحنف بن قيسٍ أنه قال : (ما عاداني أحدٌ قطُّ إلا أخذتُ في أمره بإحدىٰ ثلاث خصال : **إن كان أعلىٰ منِّي** . . عرفتُ له قدرَه ، **وإن كان دوني** . . رفعتُ قدري عنه ، **وإن كان عِدْلي** . . تفضَّلتُ عليه)[1] .

فأخذه الخليل بن أحمد فنظمه شعراً ، فقال[2] : [من الطويل]

سأُلزِمُ نفسي الصَّفحَ عن كلِّ مذنبٍ وإنْ عَظُمت منه إليَّ الجرائمُ
فما النّاسُ إلا واحدٌ من ثلاثةٍ شريفٌ ومشروفٌ ومِثلٌ مُقاوِمُ
فأمّا الذي فوقي فأعرفُ قَدْرَهُ وأتبَعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ
وأمّا الذي دوني فأحلُمُ دائباً أصونُ به عِرضي وإنْ لامَ لائمُ
وأمّا الذي مِثْلي فإنْ زلَّ أو هَفا تفضَّلْتُ إنَّ الفضلَ بالعزِّ حاكمُ

والسابع من أسبابه : استكفاف السابِّ ، وقطع السِّباب ، وهـٰذا يكون من الحزم ؛ **كما حُكي** : أنَّ رجلاً قال لضرار بن القعقاع : (واللهِ ؛ **لو قلتَ واحدةً** . . **لَسمعتَ عشراً** ، فقال ضرار : واللهِ ؛ **لو قلتَ عشراً** . . **لم تسمع واحدةً**)[3] .

وحُكي : أنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام قال لعامر بن مرّة الزُّهريّ : (**مَن أحمقُ الناسِ** ؟ فقال : مَن ظنَّ أنَّه أعقلُ الناس ، قال : صدقتَ ، قال : **فمَن أعقلُ الناسِ** ؟ قال : مَن لم يتجاوز الصمتَ في عقوبة الجهّال) .

وقال الشعبيُّ : (ما أدركتُ أمّي فأبرَّها ؛ **ولـٰكن لا أسبُّ أحداً فيسبَّها**) .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/ ٣٢٩) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص٢١) .
(٣) رواه في « عيون الأخبار » (١/ ٢٨٥) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (٨٠٣) .

وقال بعض الحكماء : (**في إعراضِك صونُ أعراضِك**) .

وقال بعض الشعراء[1] : [من الطويل]

وفي الحِلمِ رَدعٌ للسَّفيهِ عنِ الأذىٰ وفي الخُرْقِ إغراءٌ فلا تَكُ أخرَقا
فتنـدَمَ إذْ لا تنفعَنْـكَ نـدامـةٌ كمـا نـدِمَ المغبُـونُ لمّـا تفـرَّقـا

وقال آخر[2] : [من البسيط]

قُلْ ما بدا لكَ من زُوْرٍ ومن كَذِبٍ حِلْمي أصـمٌ وأُذْنـي غيـرُ صَمّـاءِ

والثامن من أسبابه : الخوف من العقوبة على الجواب ، وهـٰذا يكون من ضعف النفس ، وربما أوجبه الرأي ، واقتضاه الحزم .

وقد قيل في منثور الحكم : (**الحِلمُ حِجابُ الآفات**)[3] .

وقال الشاعر : [من البسيط]

أُرفُقْ إذا خِفتَ من ذي هَفْوةٍ خُرُقاً ليس الحليم كمَن في أمرِهِ خُرُقُ

والتاسع من أسبابه : الرِّعاية ليدٍ سالفة ، أو حرمةٍ لازمة ، وهـٰذا يكون من الوفاء ، وحسن العهد .

وقد قيل في منثور الحكم : (**أكرمُ الشِّيَم أرعاها للذِّمَم**) .

وقال الشاعر : [من الكامل]

إنَّ الـوفـاءَ علـى الكِـرام فـريضـةٌ واللـؤمُ مقـرونٌ بـذي الإخـلافِ
وترى الكريمَ لمَن يُعاشِرُ مُنصِفاً وتـرى اللئيـم مُجانِـبَ الإنصـافِ

(١) أورد البيتين في « العقد الفريد » (٢/ ٢٨١) ، والأول في « ربيع الأبرار » (٢/ ٣٠٥) .
(٢) البيت لبشار بن برد في « ديوانه » (١/ ١٥٠) .
(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤١٣) ، و« زهر الآداب » (٢/ ٩٨٤) من كلام يحيى بن معاذ رحمه الله تعالىٰ .

والعاشر من أسبابه : المكر ، وتوقُّع الفرص الخفيّة ، وهـٰذا يكون من الدهاء .

وقد قيل في منثور الحكم : (**مَن ظهر غضبُه . . قلَّ كيدُه**)[1] .

وقال بعض الأدباء : (**غضبُ الجاهل** في قوله ، **وغضبُ العاقل** في فعله)[2] .

وقال بعض الحكماء : (**إذا سكتَّ عن الجاهل** . . فقد أوسعتَه جواباً ، وأوجعتَه عقاباً) .

وقال إياس بن قتادة[3] : [من الطويل]

تُعاقِبُ أيدينا ويَحلُمُ رأيُنا ونشتِمُ بالأفعالِ لا بالتَّكلُّمِ

وقال شاعر آخر[4] : [من الطويل]

ولَلكَفُّ عن شَتْمِ اللئيمِ تكرُّماً أضرُّ له من شَتْمِهِ حينَ يشتِمُ

فهـٰذه عشرة أسباب تدعو إلى الحِلم ، وبعض الأسباب أفضلُ من بعض ، وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولاً ما يقتضي أن يكون نتيجتُه من الحِلم مذموماً ، **وإنَّما الأولىٰ بالإنسان** : أن يدعوَه إلى الحلم أفضلُ أسبابه وإن كان الحِلم كلُّه فضلاً .

وإن عرِيَ عن أحد هـٰذه الأسباب . . كان ذلاًّ ، ولم يكن حِلماً ؛ لأنّا قد ذكرنا في حدِّ الحلم أنه ضبط النفس عن هيَجان الغضب ، **فإذا فُقِد الغضبُ** بسماع ما يُغضَب منه . . **كان ذلك من ذلِّ النفس** ، وقلّة الحميّة .

---

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤٥٠) .

(٢) القول لابن المعتز في « البديع » (ص٤٦) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٢/١٧٨) لإياس ، وفي « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٢/١٨٥) ، و« الزهرة » (٢/٢١٣) منسوباً لمعبد بن علقمة .

(٤) أورده في « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٣/١٤٦) ، و« معجم الأدباء » (٧/١٥٢) للمؤمَّل بن أُمَيل المحاربيّ .

ولذلك قالت الحكماء : (**ثلاثةٌ لا يُعرَفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الجواد** إلا في العُسرة ، **ولا الشجاعُ** إلا في الحرب ، **ولا الحليمُ** إلا في الغضب)[1] .

وقال الشاعر[2] : [من الرمل]

ليستِ الأحلامُ في حالِ الرِّضا إنَّما الأحلامُ في حالِ الغَضَبْ

وقال آخر : [من البسيط]

مَن يدَّعي الحِلْمَ أَغضِبْهُ لِتعرِفَهُ لا يُعرَفُ الحِلْمُ إلا ساعةَ الغَضَبِ

وأنشد النابغة الجَعْديُّ بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من الطويل]

ولا خيرَ في حِلمٍ إذا لم يكنْ له بَوادِرُ تَحمي صَفْوَهُ أنْ يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جَهْلٍ إذا لم يكنْ له حَليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدَرا

فلم يُنكر صلى الله عليه وسلم قولَه عليه[3] .

ومَن فقد الغضب في الأشياء المُغضِبة ، حتّى استوت حالتاه قبل الإغضاب وبعده . . **فقد عدم من فضائل النفس** : الشجاعةَ والأنَفة ، والحميّة والغَيرة ، والدفاع والأخذ بالثأر ؛ لأنَّها خصال مركَّبة من الغضب ، **فإذا عدمها الإنسان . . هان بها** ، ولم يكن لباقي فضائله في النفس موضعٌ ، ولا لوفور حِلمه في القلوب موقعٌ .

وقد قال المنصور : (**إذا كان الحِلمُ مَفسدةً . .** كان العفوُ مَعجَزة)[4] .

وقال بعض السلف : (**العفو يُفسِد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم**)[5] .

---

(١) أورده في « البيان والتبيين » (٢/٧٦) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٢٠) من قول لقمان الحكيم عليه السلام .

(٢) البيت لمسكين الدارميّ في « ديوانه » (ص٢٢) .

(٣) رواه الحارث في « مسنده » (٨٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/ ١٣٢) ؛ وفيه أنه دعا له : « لا يفضُضِ اللهُ فاكَ » ، والبيتان في « ديوانه » (ص٨٥) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص١٣٨) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤١٢) ، و« ربيع الأبرار » (٢/١٤١) .

وقال عمرو بن العاص : (أكرموا سفهاءَكم ؛ فإنَّهم يكفونكم العارَ والشَّنارَ)[1] .

وقال مصعب بن الزبير : (ما قلَّ سفهاء قومٍ إلا ذلُّوا)[2] .

وقال أبو تمام الطائي[3] : [من الكامل]

والحربُ تركَبُ رأسَها في مَشهدٍ ... عُـدِلَ السَّفِيـهُ بـهِ بـألـفِ حَليـمِ

وليس هٰذا القولُ إغراءً بتحكيم الغضب والانقياد له عند حدوث ما يُغضِب ، فيكتسبَ بالانقياد للغضب من الرذائل أكثرَ ممّا يسلبُه عدمُ الغضب من الفضائل ؛ ولٰكن إذا ثار به الغضب عند هجوم ما يُغضِبه . . كفَّ سَورته بحزمه ، وأطفأ نائرته بحلمه ، ووكل مَن استحقَّ المقابلة إلىٰ غيره ، فلن يعدم مسيءٌ مكافئاً ؛ كما لن يعدم محسنٌ مجازياً .

والعرب تقول : (دخل بيتاً ما خرج منه) أي : إن خرج منه خيرٌ . . دخله خيرٌ ، وإن خرج منه شرٌّ . . دخله شرٌّ .

وأنشد ابن دريد عن أبي حاتم[4] : [من الطويل]

إذا أَمِـنَ الجُهّـالُ جَهْلَـكَ مـرّةً ... فعِرْضُكَ للجُهّالِ غُنْمٌ منَ الغُنْمِ
فعُمَّ عليهِ الحِلمَ والجَهلَ وٱلقَهُ ... بمنـزلـةٍ بيـنَ العـداوةِ والسِّلْـمِ
إذا أنتَ جازيتَ السفيهَ كما جزىٰ ... فـأنـتَ سفيـهٌ مثلُـهُ غيـرُ ذي حِلْـمِ
ولا تعضِيَـنْ عِـرضَ السَّفيـهِ ودارِهِ ... بحِلـمٍ فـإنْ أعيـا عليـكَ فبـالصَّـرْمِ
فيـرجـوكَ تـاراتٍ ويخشـاكَ تـارةً ... وتـأخـذُ فيمـا بيـنَ ذلـكَ بـالحَـزْمِ
فإنْ لم تجِدْ بُدّاً منَ الجهلِ فاستعِنْ ... عليـهِ بجُهّـالٍ فـذاكَ مـنَ العَـزْمِ

---

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٣١) ، و« زهر الآداب » (١/٥٥) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٣٣) .

(٣) البيت في « ديوانه » (٣/٢٦٦) .

(٤) روى الأبيات في « تاريخ دمشق » (٥١/٨٦) ، ولا تعضين : لا تنتقصه ولا تطعن به ، والصرم : هو القطع ؛ والمعنىٰ : لا تطعن عرض السفيه ، بل داره بحلم ؛ فإن أعيا وأشكل عليك أمر ذلك . . فاطعنه بالصرم .

وهٰذا من أحكم أبياتٍ وجدتها في تدبير الحِلم والغضب .

وهٰذا التدبير إنَّما يُستعمَل فيمَن لا يجد الإنسان بدّاً من مقارنته[١] ، ولا سبيلاً إلى اطِّراحه ومتاركته ؛ إمّا لخوف شرِّه ، أو للزوم أمره .

فأمّا مَن أمكن اطِّراحُه ، ولم يضرَّ إبعادهُ . . فالهَوانُ به أَولىٰ ، والإعراضُ عنه أصونُ .

فإذا كان علىٰ ما وصفتُ . . استفاد بتحريك الغضب فضائلَه ، وأمن بكفِّ نفسه عن الانقياد له رذائلَه ، وصار الحلمُ مدبِّراً للأمور المغضِبة بقدرٍ لا يعتورُه نقصٌ بعدم الغضب ، ولا يلحقه زيادةٌ بفقد الحِلم .

ولو عزب عنه الحلمُ حتّى انقاد لغضبه . . ضلَّ عنه وجهُ الصَّواب فيه ، وضعف رأيُه عن خبرة أسبابه ودواعيه ؛ حتّىٰ يصيرَ بليدَ الرأي ، مغمورَ الرَّوِيّة ، مقطوعَ الحجّة ، مسلوبَ العَزاء ، قليلَ الحيلة ، مع ما يناله من أثر ذلك في نفسه وجسده ، حتّىٰ يصير أضرَّ عليه ممّا غضب له[٢] .

وقد قال بعض الحكماء : (مَن كثر شَطَطُه . . كثر غلَطُه)[٣] .

ورُوي أنَّ سلمان قال لعليِّ بن أبي طالب عليه السلام : (ما الذي يُباعِدني من غضب الله تعالىٰ ؟) قال : (ألاّ تغضبَ)[٤] .

وقال بعض السلف : (أقربُ ما يكون العبد من غضب الله تعالىٰ إذا غضِبَ)[٥] .

وقال بعض البلغاء : (مَن ردَّ غضبَه . . هدَّ مَن أغضبَه) .

---

(١) وهٰذا التدبير : وهو الاستعانة بالسفهاء .

(٢) أي : كمن غضب علىٰ فرسه فكسر رجلها ، أو علىٰ زوجته فطلقها ، أو علىٰ عبده فقتله !!

(٣) أورده في « نهاية الأرب » (٦/ ٩٥) ، و« ربيع الأبرار » (٣/ ٤٩٢) ، والشطط : التباعد عن الحق .

(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٢٩٦) ، والإمام أحمد في « المسند » (٢/ ١٧٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٥) أورده في « البيان والتبيين » (٢/ ١٩٥) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (١٤٤٤) من قول سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

وقال بعض الأدباء : (ما هيَّجَ جاشَك كغيظٍ أجاشَك)[1] .

وقال رجلٌ لبعض الحكماء : (عِظْني ، فقال : لا تغضَبْ) .

فينبغي لذي اللُّبِّ السَّويِّ ، والحزم القويِّ . . أن يتلقّىٰ قوة الغضب بحلمه فيصدَّها ، ويقابلَ عواديَ شِرّته بحزمه فيردَّها ؛ ليحظىٰ بانجلاء الحَيرة ، ويسعدَ بحميد العاقبة ؛ فقد قال بعض الأدباء : (في إغضائك راحةُ أعضائك) .

وسببُ الغضب : هجومُ ما تكرهه النفس ممَّن دونها ، وسببُ الحزن : هجومُ ما تكرهه النفسُ ممَّن فوقها .

والغضبُ يتحرَّك من داخل الجسد إلىٰ خارجه ، والحزنُ يتحرَّك من خارج الجسد إلىٰ داخله ؛ ولذلك قتل الحزنُ ، ولم يقتلِ الغضبُ ؛ لبروز الغضب ، وكمون الحزن[2] ، فصار الحادثُ عن الغضب السَّطوةَ والانتقام لبروزه ، والحادثُ عن الحزن المرضَ والأسقَامَ لكمونه ؛ فمن أجل ذلك : أفضى الحزنُ إلى الموت ، ولم يُفضِ إليه الغضب ، فهٰذا فرقُ ما بين الحزن والغضب .

واعلم : أنَّ لتسكين الغضب إذا هجم أسباباً يُستعان بها على الحلم :

منها : أن يذكر الله تعالىٰ ، فيدعوه ذكره إلى الخوف منه ، ويبعثه الخوف منه على الطاعة له ، فيرجع إلىٰ أدبه ، ويأخذ بيديه ؛ فعند ذلك يزول الغضب[3] .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال عكرمة : (يعني : إذا غضبت)[4] .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ ومعنىٰ قوله : (ينزغَنَّكَ) أي : يُغضِبنَّكَ ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يعني :

---

(١) جاشك ـ بتسهيل الهمزة وقد تثبت على الأصل ـ : وهو رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، وأجاشك ؛ أي : أفزعك .

(٢) فالغاضب كالرامي ، والمحزون كالمرمي إليه ، وسهم الغضب مسمومة .

(٣) لأن المخلاة التي خرقها سيف الجلالة لا تنتفخ بنفخ الشيطان .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٤٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/ ٣٣٤) .

إنه سميعٌ بجهل مَن جهل ، **عليمٌ** بما يُذهِب عنك الغضبَ .

وذُكر أنَّ في التوراة مكتوباً : (**يا بنَ آدم ؛ اذكُرْني حينَ تغضَبُ . . أذكُرْكَ حينَ أغضَبُ ، فلا أمحَقُكَ فيمَن أمحَقُ**)[1] .

وحُكِي : أنَّ بعض ملوك الفرس كتب كتاباً ودفعه إلىٰ وزيره وقال له : (**إذا غضبتُ . . فناوِلْنيه**) ، وكان فيه مكتوب : (**ما لكَ وللغضبِ ؟! إنَّما أنت بشرٌ ، ارحَمْ مَن في الأرض . . يرحمْكَ مَن في السماء**)[2] .

وقال بعض الحكماء : (**مَن ذكر قدرة الله تعالىٰ . . لم يستعمل قدرتَه في ظلم عباد الله**)[3] .

وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد : (**يا أميرَ المؤمنين ؛ أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ منِّي بين يديك ، وبالذي هو أقدرُ علىٰ عقابك منك علىٰ عقابي . . لما عفوتَ عنِّي !!**) فعفا عنه لمّا ذكَّره قدرةَ الله تعالىٰ عليه[4] .

ورُوي أنَّ رجلاً شكا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم القسوةَ ، فقال : « **اطَّلعْ في القُبورِ ، واعتبِرْ بالنُّشُورِ** »[5] .

وكان بعض ملوك الطوائف إذا غضب . . **أُلقِي عنده مفاتيحُ تُرَب الملوك ، فيزول عنه غضبُه**[6] .

ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه : (**مَن أكثرَ ذكرَ الموتِ . . رضي من الدنيا باليسير**)[7] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/ ٦٥) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٢/ ٥٥١) ، وإطلاق الغضب على الله سبحانه مجازيٌّ ؛ أي : حين أردت أن أفعل بك ما يفعله المَلِك إذا غضب علىٰ من تحت يده من الانتقام وإنزال العقوبة ، ومحق الشيء : إبطاله ومحوه ؛ بحيث لم يُبْقِ أثراً منه ولا علامة .

(٢) أورده المبرّد في « التعازي والمراثي » (ص٣٠٢) ، و« ربيع الأبرار » (٢/ ٣٠٢) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤٥٢) .

(٤) أورده في « عيون الأخبار » (١/ ١٠٢) .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٥٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٦) ذكره في « سراج الملوك » (١/ ٣٥٤) .

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٣٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٧٤) من كتاب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أهل الشام .

ومنها : أن ينتقل عن الحالة التي هو فيها إلىٰ حالةٍ غيرها ، **فيزول عنه الغضب** بتغيُّر الأحوال ، والتنقُّل من حالٍ إلىٰ حال ، وكان هـٰذا مذهبَ المأمون إذا غضب أو شتم[1] .

وكانت الفرس تقول : (**إذا غضب القائمُ . . فليجلِسْ ، وإذا غضب الجالس . . فليقُمْ**)[2] .

ومنها : أن يتذكَّر ما يؤول إليه الغضبُ من الندم ، ومَذمّة الانتقام .

كتب أبرويز إلى ابنه شيرويه : (**إنَّ كلمةً منك تسفك دماً ، وإنَّ أخرىٰ منك تحقن دماً ، وإنَّ نفاذ أمرك مع ظهور كلامك ، فاحترس في غضبك من قولك أن يُخطىءَ ، ومن لونك أن يتغيَّرَ ، ومن جسدك أن يخفَّ ؛ فإن الملوك تعاقب قدرةً ، وتعفو حِلماً**)[3] .

وقال بعض الحكماء : (**الغضبُ علىٰ مَن لا تملك عجزٌ ، وعلىٰ مَن تملك لؤمٌ**)[4] .

وقال بعض الأدباء : (**إيّاكَ وعزّةَ الغضب ؛ فإنَّها تفضي بك إلىٰ ذلِّ العذر**)[5] .

وقال بعض الشعراء[6] : [من الخفيف]

وإذا ما اعترَتْكَ في الغَضَبِ العِزّ ... ةُ فاذكُرْ تذلُّلَ الإعتذارِ

---

(١) في (أ) : (أو سئم) .
(٢) ذكره في « سراج الملوك » (١/ ٣٥٤) .
(٣) أورده في « عيون الأخبار » (١/ ٢٨٨) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (٢١٤٣) .
(٤) ذكره في « سراج الملوك » (١/ ٣٥٧) .
(٥) أورده في « عيون الأخبار » (١/ ٢٩١) ، و« الإعجاز والإيجاز » (ص٧٢) من كلام سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه .
(٦) أورد البيت في « ربيع الأبرار » (٢/ ٢٩٦) .

ومنها : أن يذكرَ ثوابَ العفو ، وجزاءَ الصفح ، فيقهر نفسه على الغضب ؛ **رغبةً في الجزاء والثواب** ، وحذراً من استحقاق الذمِّ والعقاب .

رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُنادي مُنادٍ يومَ القيامةِ : **مَن له أجرٌ على الله عزَّ وجل . . فلْيَقُمْ** ، فيقومُ العافُونَ عنِ النّاسِ » ثمَّ تلا : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[1] .

وقال رجاء بن حَيْوةَ لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث : (إن الله عز وجل **قد أعطاكَ ما تحبُّ من الظَّفَر ، فأعطِ الله َما يحبُّ من العفو**)[2] .

ورُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « **الخيرُ ثلاثُ خِصالٍ** ، مَن كُنَّ فيه . . استكملَ الإيمانَ : **مَن إذا رضيَ** . . لم يُدخِلْهُ رِضاهُ في باطلٍ ، **وإذا غضِبَ** . . لم يُخرِجْه غَضَبُهُ مِن حقٍّ ، **وإذا قدَرَ** . . عفا »[3] .

وأسمع رجلٌ كلاماً لعمرَ بن عبد العزيز ، فقال عمر : (**أردتَ أن يستفزَّني الشيطانُ** بعزِّ السلطان ، **فأنالَ منكَ اليومَ** ما تنالُه منِّي غداً ، **انصرف يرحمُكَ اللهُ**)[4] .

ومنها : أن يتذكَّر انعطافَ القلوب عليه ، وميلَ النفوس إليه ، فلا يرىٰ إضاعة ذلك بتنفير الناس عنه ، وبعدهم منه ، **فيكفَّ عن متابعة الغضب** ، فيرغب في التألُّف وجميل الثناء .

روى ابن أبي ليلىٰ ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **ما ازدادَ أحدٌ بعفْوٍ إلا عِزّاً ، فاعفُوا . . يُعِزَّكُمُ اللهُ** »[5] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢١٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/ ١٨٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أورده في « البيان والتبيين » (٢/ ١٠٧) ، و« نهاية الأرب » (٦/ ٦٣) .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الصغير » (١/ ٦١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٧١) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٠٥) .

(٥) روىٰ نحوه مسلم (٢٥٨٨) ، والترمذي (٢٠٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال بعض البلغاء : (**ليس من عادة الكرام** سرعةُ الانتقام ، **ولا من شروط الكرم** إزالةُ النِّعَم)[1] .

وقال المأمون لإبراهيم بن المهديّ : (إنِّي شاورتُ في أمرك ، **فأشاروا عليَّ بقتلك** إلا أنِّي وجدتُ قدرَك فوقَ ذنبك ، **فكرهت القتلَ** ؛ للازم حرمتك) .

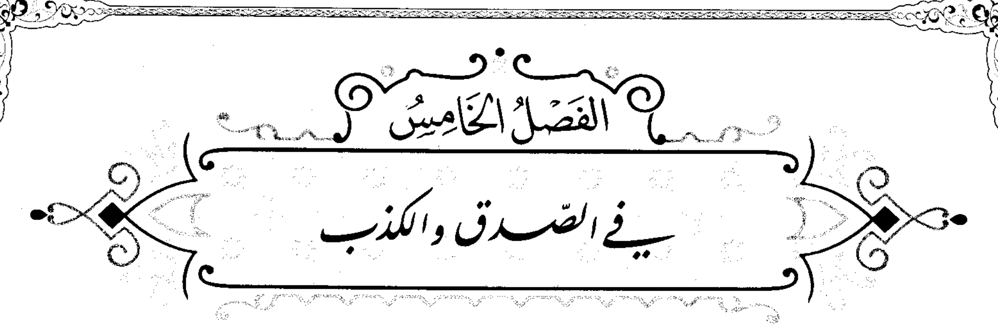
فقال : (يا أميرَ المؤمنين ؛ **إنَّ المشيرَ أشار بما جرت به العادة في السياسة** ، إلا أنَّك أبيتَ أن تطلب النصر إلا من حيثُ عُوِّدتَه من العفو ؛ **فإن عاقبتَ** . . فلك نظيرٌ ، **وإن عفوتَ** . . فلا نظيرَ لك) وأنشأ يقول : [من البسيط]

البرُّ بي منكَ وَطَّا العُذرَ عندَكَ لي ... فيما فعلتُ فلم تعذُلْ ولم تَلُمِ
وقام عِلمُكَ بي فاحتجَّ عندَكَ لي ... مَقامَ شاهدِ عَدْلٍ غيرِ متَّهَمِ
لئن جحَدتُكَ معروفاً مننْتَ بهِ ... إنِّي لَفي اللُّؤم أحظىٰ منكَ في الكرَمِ
تعفُو بعَدْلٍ وتسطُو إنْ سطَوْتَ بهِ ... فلا عدِمْناكَ مِن عافٍ ومُنتقِمِ[2]

---

(١) أورده في « تهذيب السياسة » (ص٢٠٨) ، و« المستطرف » (١/ ٥٧٢) .

(٢) أورد الخبر في « التذكرة الحمدونية » (٤/ ١١٧) ، و« نثر الدرّ » (٣/ ١٤٦) ، وأورد الأبيات سوى الثالث في « الفرج بعد الشدة » (٣/ ٣٥١) ، والبيت الثالث في « العمدة » (١/ ٤٨٤) ، وكان قد خرج عليه في بغداد وبايعه العباسيون ، وكان المأمون وقتها بخراسان ، فرجع إلىٰ بغداد فاختفىٰ إبراهيم ؛ حتىٰ أُخذ وهو متنقب مع نسوة ، فأخذه وجرىٰ بينهما ما قصَّه المؤلف رحمه الله تعالىٰ .



الفصل الخامس

في الصدق والكذب

قال الله تعالىٰ وهو أصدق القائلين : ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(١) .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ .

ورُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسن بن عليٍّ عليهما السلام : « **دَعْ ما يَرِيبُكَ إلىٰ ما لا يَرِيبُكَ ؛ فإنَّ الكَذِبَ رِيبةٌ ، والصِّدقَ طُمأنينةٌ** »(٢) .

ورُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَحِمَ اللهُ امرأً **أصلحَ من لسانِهِ** ، وقصرَ من عِنانِهِ ، **وألزمَ طريقَ الحقِّ مِقوَلَهُ** ، ولم **يُعوِّدِ الخَطَلَ مِقصَلَهُ** »(٣) .

وروىٰ صفوان بن سُلَيم قال : قيل للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : **أيكونُ المؤمنُ جباناً** ؟ قال : « نعم » قيل : **أفيكون بخيلاً** ؟ قال : « نعم » قيل : **أفيكون كذّاباً** ؟ قال : « لا »(٤) .

---

(١) **ثم نبتهل** : بأن نقول : بهلة الله على الكاذب منا ومنكم ، والبُهلة : اللعنة ، وبَهَلَهُ الله : لعنه الله وأبعده من رحمته .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/٩٩) ، والترمذي (٢٥١٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٦٣) .

(٣) روىٰ صدره البيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٥٧) عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/١٠٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، **وسبب الحديث** : أن سيدنا عمر رضي الله عنه مرَّ علىٰ قوم أخطؤوا في رميهم ، ولما تكلموا . . لحنوا في قولهم فقال : (والله ؛ لخطؤكم في لسانكم أشد عليَّ من خطئكم في رميكم ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . . .) ، وقوله : (وقصر من عنانه . . . **إلخ**) مدرج في الحديث وتفسير له ، ولسانٌ **مِقصَلٌ** : حديدٌ ذَرِبٌ .

(٤) رواه الإمام مالك في « الموطأ » (٢/٩٩٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤٧٢) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ أي : (**لا تخلِطوا الصدقَ بالكذب**)[1] .

وقيل في منثور الحكم : (**الكذّاب لصٌّ ؛ لأنَّ اللصَّ يسرق مالَك ، والكذّابَ يسرق عقلَك**)[2] .

وقال بعض الحكماء : (**الخَرَسُ خيرٌ من الكذب ، وصدقُ اللسان أوّلُ السعادة**)[3] .

وقال بعض البلغاء : (**الصادق مُصانٌ جليل ، والكاذب مُهانٌ ذليل**) .

وقال بعض الأدباء : (**لا سيفَ كالحقِّ ، ولا عونَ كالصِّدق**)[4] .

وقال بعض الشعراء : [من الوافر]

وما شيءٌ إذا فكَّرْتَ فيهِ بأذهبَ للمروءةِ والجَمالِ
منَ الكذبِ الذي لا خيرَ فيهِ وأبعدَ بالبَهاءِ منَ الرِّجالِ

والكذبُ جِماعُ كلِّ شرٍّ ، وأصلُ كلِّ ذمٍّ ؛ لسوء عواقبه ، وخُبث نتائجه ؛ **لأنه ينتج النَّميمة** ، **والنَّميمة** تنتج البغضاء ، **والبغضاء** تؤول إلى العداوة ، وليس مع العداوة أمنٌ ولا راحة ؛ ولذلك قيل : (**مَن قلَّ صدقُه . . قلَّ صديقُه**)[5] .

والصدق والكذب يدخلان الأخبار الماضية ؛ **كما أن الوفاء والخُلْف** يدخلان المواعيد المستقبَلة ؛ **فالصدق** : هو الإخبار عن الشيء علىٰ ما هو عليه ، **والكذب** : هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما كان عليه .

ولكلٍّ واحدٍ منهما دواعٍ ؛ فدواعي الصدق لازمةٌ ، ودواعي الكذب عارضةٌ ؛

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١/١/٣٣٥) .
(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤٤٦) ، و« زهر الآداب » (١/٤٢٧) من قول الحسن بن سهل .
(٣) أورده في « ربيع الأبرار » (٥/٣٥١) .
(٤) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٤/٢٣) .
(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤١٢) ، و« زهر الآداب » (٢/٨٣٤) .

لأن **الصدق** يدعو إليه عقلٌ موجِبٌ ، وشرعٌ مؤكِّدٌ ، **والكذب** يمنع منه العقل ، ويصدُّ عنه الشرع .

ولذلك جاز أن تستفيض الأخبارُ الصادقة حتىٰ تصيرَ متواترةً[1] ، **ولم يجز أن تستفيض الأخبارُ الكاذبة** ؛ لأنَّ اتِّفاق الناس في الصدق والكذب إنَّما هو لاتِّفاق الدواعي ، **فدواعي الصدق** يجوز أن يتَّفق الجمعُ الكثيرُ عليها ؛ **حتىٰ إذا نقلوا** خبراً وكانوا عدداً ينتفي عن مثلهم المواطأةُ . . **وقع في النفس صدقُه** ؛ لأنَّ الدواعيَ إليه نافعةٌ ، واتِّفاق الناس في الدواعي النافعة ممكنٌ .

ولا يجوز أن يتَّفقَ العددُ الكثير الذي لا يمكن مواطأةُ مثلهم علىٰ نقل خبرٍ يكون كذباً ؛ لأنَّ الدواعيَ إليه غيرُ نافعة ، وربَّما كانت ضارّةً ، **وليس في جاري العادة** أن يتَّفق الجمع الكثير علىٰ دواعٍ غيرِ نافعة ؛ **فلذلك جاز اتِّفاق الناس على الصدق** ؛ لجواز اتِّفاق دواعيهم ، **ولم يجز أن يتَّفقوا على الكذب** ؛ لامتناع اتِّفاق دواعيهم .

***

وإذا كان للصدق والكذب دواعٍ . . فلا بدَّ من ذكر ما سنح به الخاطرُ من دواعيهما[2] .

أمّا دواعي الصِّدق :

فمنها : العقلُ ؛ **لأنَّه موجِبٌ لقبح الكذب** ، لا سيَّما إذا لم يجلب نفعاً ، ولم يدفع ضرراً ، **وموجِبٌ لحسن الصدق** ، لا سيَّما إذا لم ينفِ نفعاً ، ولم يجلب ضرراً ، **والعقلُ يدعو إلىٰ فعلِ ما كان فيه مستحسَناً** ، ويمنع من إتيان ما كان فيه مستقبَحاً .

وليس ما استُحسِن من مبالغات الشعراء حتىٰ صارت كذباً صريحاً . . استحساناً

---

(1) **الاستفاضة** : الانتشار .

(2) **السنوح** : ظهورُ رأيٍ وعروضُه في الخاطر .

للكذب في العقل ؛ كالذي أنشدنيه الأزديُّ لبعض الشعراء[1] : [من الطويل]

تـوهَّمَـهُ فكـري فـأصبـحَ خَـدُّهُ ... وفيه مكانَ الوَهْمِ من فِكْرتي أُثْرُ
وصـافحَـهُ كَفِّـي فـآلـمَ كفَّـهُ ... فمن لَمْسِ كفِّي في أناملِهِ عَقْرُ
ومـرَّ بقلبـي خـاطـراً فجـرَحْتُـهُ ... فلـم أرَ شيئـاً قـطُّ يجـرحُـهُ الفِكْـرُ

وكقول العبّاس بن الأحنف وإن كان دونَ هٰذه المبالغة[2] : [من الوافر]

تقـولُ وقـد كتبـتُ دقيـقَ خَطِّـي ... إليهـا لِـمْ تجنَّبْـتَ الجَليـلا
فقلـتُ لهـا نحَلْـتُ فصـار خَطِّـي ... مسـاعـدةً لكـاتبِـهِ نَحيـلا

لأنَّه خرج مَخرج المبالغة في التشبيه والاقتدار علىٰ صنعة الشعر ، وأنَّ شواهد الحال تخرجه عن تلبيس الكذب ؛ فلذلك استُحسِن في الصنعة[3] ، ولم يُستقبَح في العقل وإن كان الكذبُ مستقبَحاً فيه .

ومنها : الدِّين الوارد باتِّباع الصدق ، وحظر الكذب ؛ لأنَّ الشرع لا يجوز أن يرِدَ بإرخاص ما حظره العقل ، بل قد جاء الشرع زائداً علىٰ ما اقتضاه العقل من حظر الكذب ؛ لأنَّ الشرع ورد بحظر الكذب وإن جرَّ نفعاً ، أو دفع ضرراً ، والعقلُ إنَّما حظر من الكذب ما لا يجلبُ نفعاً ، ولا يدفع ضرراً .

ومنها : المروءة ؛ فإنَّها مانعةٌ من الكذب ، باعثةٌ على الصدق ؛ لأنَّها قد تمنع من فعل ما كان مستكرَهاً ، فأَولىٰ أن تمنعَ من فعل ما كان مستقبَحاً .

---

(١) الأبيات لأبي نواس في « ديوانه » (ص ٧٣٠) ، ونسبه في « الوافي بالوفيات » (٦/ ١٥) و« الكشكول » (٢/ ١١١) للنظّام ، والأُثْرُ : أثَر الجرح يبقىٰ بعد البُرْء .

(٢) أورد البيتين في « الزهرة » (١/ ٤٠٧) ، و« المحاسن والمساوىء » (ص ١٤) دون نسبة .

(٣) في (أ ، ب) : (فلذلك ما استحسن في الصنعة) .

ومنها : حبُّ الثناء والاشتهار بالصدق ، حتىٰ لا يُرَدَّ عليه قولٌ ، ولا يُخلَفَ بذمٍّ .

وقد قال بعض البلغاء : (**ليكنْ مرجعُك إلى الحقِّ** ، ومنزعُك إلى الصدق ؛ **فالحقُّ أقوىٰ مُعين** ، والصدقُ أفضلُ قرين)[١] .

وقال بعض الشعراء[٢] : [من البسيط]

عَوِّدْ لسانَكَ قولَ الصِّدقِ تَحظَ بِهِ ... إنَّ اللِّسانَ لِما عَوَّدْتَ مُعتادُ
مُوَكَّلٌ بتقاضي ما سَنَنْتَ لَهُ ... فاحتَلْ لنفسِكَ وانظُرْ كيفَ تَرتادُ

وأمّا دواعي الكذب :

فمنها : اجتلاب النفع ، واستدفاع الضرر ، **فيرىٰ أنَّ الكذب أسلمُ وأغنمُ** ، فيرخِّص لنفسه فيه ؛ اغتراراً بالخدع ، واستشفافاً للطمع ، **وربَّما كان الكذبُ أبعدَ لما يأمُلُ** ، وأقربَ لما يخافُ ؛ **لأنَّ القبيحَ لا يكون حسناً** ، والشرَّ لا يصير خيراً ، **وليس يُجنىٰ من الشوك العنبُ** ، ولا من الكَرْم الحنظلُ .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **تحرَّوُا الصِّدقَ** وإنْ رأيتُمْ أنَّ فيه الهَلَكَةَ ؛ **فإنَّ فيه النَّجاةَ** ، **وتجنَّبُوا الكَذِبَ** وإنْ رأيتُمْ أنَّ فيه النَّجاةَ ؛ **فإنَّ فيه الهَلَكَةَ** »[٣] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (**لأنْ يضعَني الصِّدقُ** وقلَّما يفعلُ . . **أحبُّ إليَّ من أن يرفعَني الكذبُ** وقلّما يفعلُ) .

---

(١) أورده في « لباب الآداب » (ص ٥٥) .
(٢) أورد البيتين في « الجليس الصالح » (١/ ٥٨٤) ، و« روضة العقلاء » (١/ ٢٣٣) ، وفي غير (أ) : (في الخير والشر فانظر كيف ترتاد) ، **والتقاضي** : طلب الدَّين ، والسنة : الطريقة والطبيعة والجبلة ، **والارتياد** : الطلب ؛ فاللسان يطلب ما عودته ، وقال يحيى بن خالد : رأينا شارب خمر نزع ، ولصاً أقلع ، وصاحب فواحش رجع ، ولم نر كذاباً صار صادقاً !!
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (١٣٧) ، وهناد في « الزهد » (١٣٧٥) مرسلاً .

وقال بعض الحكماء : (**الصدقُ مُنجيكَ** وإنْ خفتَه ، **والكذبُ مُردِيكَ** وإنْ أمنتَه)[1] .

وقال الجاحظ : (**الصدقُ والوفاءُ** توءمان ، **والصبرُ والحِلمُ** توءمان ، فيهنَّ تمامُ كلِّ دِين ، وصلاحُ كلِّ دنيا ، وأضدادُهنَّ سببُ كلِّ فرقة ، وأصلُ كلِّ فساد)[2] .

ومنها : أن يؤثرَ أن يكون حديثُه مستغرَباً ، وكلامه مستطرَفاً ، **فلا يجد صدقاً يُغرِب ، ولا حقّاً يُطرِب** ، فيستملُّ الكذبَ الذي ليست غرائبه معوزةً ، ولا طرائفه معجِزةً .

وهـٰذا النوع أسوأ حالاً ممّا قبل ؛ لأنه يصدر عن مهانة النفس ، ودناءة الهمّة ، وقد قال الجاحظ : (**لم يكذب أحدٌ قطُّ إلا لصِغَر قدر نفسه عنده**)[3] .

وقال ابن المقفَّع : (**لا تَهاونَنَّ بإرسال الكَذْبة من الهزل ؛ فإنَّها تُسرعُ إلىٰ إبطال الحقِّ**)[4] .

ومنها : أن يقصد بالكذب التَّشفِّيَ من عدوٍّ ، **فيشتمه بقبائحَ يتخرَّصُها عليه** ، ويصِمُه بفضائحَ ينسُبُها إليه ، ويرىٰ أنَّ **معرّة الكذب غُنمٌ** ، وأنَّ إرسالَها في العدوِّ سهمٌ وسَمٌّ .

وهـٰذا أسوأُ حالاً **من النوعين الأوّلين** ؛ لأنَّه قد جمع بين الكذب المُعِرِّ ، والشرِّ المُضِرِّ ؛ ولذلك ورد الشرعُ بردِّ شهادة العدوِّ علىٰ عدوِّه .

---

(١) أورده في « نهاية الأرب » (٣/ ٣٦٠) .
(٢) المعاش والمعاد (١/ ١٢٥) ضمن « رسائل الجاحظ » .
(٣) المعاش والمعاد (١/ ١٢٤) ضمن « رسائل الجاحظ » .
(٤) الأدب الكبير (ص ٢٥٨) ضمن « آثار ابن المقفع » .

ومنها : أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتّىٰ أَلِفَها ، **فصار الكذبُ له عادةً ، ونفسُه إليه منقادةً** ، حتّىٰ لو رام مُجانبةَ الكذب . . عسر عليه ؛ **لأنَّ العادةَ طبعٌ ثانٍ** .

وقد قالت الحكماء : (**مَنِ استحلىٰ رَضاعَ الكذب** . . عسر فِطامُه)[1] .

وقيل في منثور الحكم : (**لا يلزم الكذبُ شيئاً إلا غلبَ عليه**)[2] .

واعلم : أنَّ للكذّاب قبل خبرته أماراتٍ دالّةً عليه :

فمنها : أنك إذا لقَّنته الحديث . . تلقَّنه ، ولم يكن بين ما لقَّنته وبين ما أورده فرقٌ عنده .

ومنها : أنك إذا شكَّكتَه فيه . . تشكَّك ، حتّىٰ يكادَ أن يرجعَ فيه ، ولولاك . . ما تخالجه الشكُّ فيه .

ومنها : أنك إذا ردَّدتَ عليه قولَه . . حصِرَ وارتبكَ ، ولم يكن عنده نصرةُ المحتجِّين ، ولا برهانُ الصادقين ؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**الكذّابُ كالسَّراب**)[3] .

ومنها : ما يظهر عليه من ريبة الكذّابين ، وينُمُّ عليه من ذِلّة المتهومين ؛ لأنَّ هٰذه أمورٌ لا يمكن الإنسانَ دفعُها عن نفسه ؛ لما في الطبع من إثارتها ، ولذلك قالت الحكماء : (**العينان أنمُّ من اللسان**)[4] .

وقال بعض البلغاء : (**الوجوهُ مرايا تُريكَ أسرارَ البرايا**) .

---

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (١/ ٢٤٨) .

(٢) أورده في « المعمَّرون والوصايا » (ص ٢٣) ، و« جمهرة الأمثال » (١/ ٤٠٢) من قول أكثم بن صيفيّ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده في « شرح نهج البلاغة » (١٨/ ١٥٧) ، و« التذكرة الحمدونية » (١/ ٣٦٢) ، والمعنىٰ : أنك كلما تقربت منه . . تباعد عنك .

(٤) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٣/ ١٥٥) ، و« بهجة المجالس » (٢/ ١٨١) من قول خالد بن صفوان ؛ فالعينان تفشيان ما كتمه من الريب ، ولذلك قيل : لا شاهد علىٰ غائب أعدل من طرفٍ علىٰ قلب .

وقال بعض الشعراء[1] : [من البسيط]

تُرِيكَ أعيُنُهُمْ ما في صُدُورِهِمُ ... إنَّ العُيُونَ يؤدِّي سِرَّها النَّظَرُ

وإذا اتَّسمَ بالكذب.. نُسِبت إليه شواردُ الكذب المجهولة ، وأُضِيفت إلىٰ أكاذيبه زياداتٌ مفعولة ؛ حتّىٰ يصيرَ الكاذبُ مكذوباً عليه ، فيجمع بين مَعرَّة الكذب منه ، ومَضرَّة الكذب عليه .

وقد قال الشاعر[2] : [من مجزوء الكامل]

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ البَلِيَّـ ... ـةِ بعضُ ما يُحكىٰ عليهِ

ما إنْ سمِعْتَ بكِذْبةٍ ... مِن غيرِهِ نُسِبَت إليهِ

ثم إن تحرَّى الصدقَ.. اتُّهِمَ ، وإن جانبَ الكذب.. أُكذِبَ ؛ حتّىٰ لا يُعتقدَ له حديثٌ مصدَّقٌ ، ولا كذبٌ مستنكَرٌ .

قال الشاعر[3] : [من الطويل]

إذا عُرِفَ الكَذّابُ بالكِذْبِ لم يكَدْ ... يُصدَّقُ في شيءٍ وإنْ كان صادِقا

ومِن آفةِ الكَذّابِ نِسيانُ كِذْبِهِ ... وتَلقاهُ ذا حفظٍ إذا كان حاذِقا

وقد وردت السُّنَّة بإرخاص الكذب في الحرب ، وإصلاح ذات البَين ، علىٰ وجه التورية والتأويل دون التصريح به ؛ فإنَّ السنة لا يجوز أن ترِدَ بإباحة الكذب ، لما فيه من التنفير ، وإنَّما ذلك علىٰ طريق التورية والتعريض ؛ كما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطرَّف بَدْراً وانفرد عن أصحابه ، فقال له رجلٌ : ممَّن أنتَ ؟ فقال : « من ماءٍ »[4] .

---

(١) البيت لمجنون ليلىٰ في « ديوانه » (ص ١٣٥) ؛ وفيه : (إنَّ الصدورَ يؤدِّي غيبهَا النظرُ) .
(٢) أورد البيتين في « عيون الأخبار » (٢/ ٢٨) ، و« البصائر والذخائر » (٩/ ١٤١) .
(٣) البيتان لمحمود الورّاق في « ديوانه » (ص ١٥٢) ؛ وفيه : (بالكذب لم يكنْ لدى الناسِ ذا صدقٍ) .
(٤) أورده ابن هشام في « السيرة النبوية » (١/ ٦١٥) ، و« عيون الأخبار » (١/ ١٩٤) .

فورَّىٰ عن الإخبار بنسَبِهِ بأمرٍ محتمل ، فظنَّ السائل أنه عنى القبيلة المنسوبة إلىٰ ذلك ، وإنَّما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : **أنَّه من الماء الذي يُخلَق منه الإنسان** ، فبلغ ما أحبَّ من إخفاء نسبه ، وصدق في خبره صلى الله عليه وسلم .

وكالذي حُكي عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أنَّه كان يسير خلفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه ، فتلقّاه العربُ وهم يعرفون أبا بكر ، ولا يعرفون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : **يا أبا بكر ؛ مَن هٰذا ؟** فيقول : (**يهديني السبيلَ**)(١) ، فيظنُّون أنه يعني : **هداية الطريق** ؛ وهو إنَّما يريد سبيل الخير ، فيصدق في قوله ، ويُورِّي عن مراده .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إنَّ في المَعاريضِ لَمَندُوحةً عنِ الكذِبِ** »(٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إنَّ في المَعاريضِ ما يكفي **أن يعفَّ الرجلُ عن الكذبِ**)(٣) .

وقال بعض أهل التأويل في قوله تعالىٰ : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ : (إنَّه لم ينسَ ؛ **ولٰكنَّه معاريضُ الكلام**)(٤) .

وقال ابن سيرين : (**الكلامُ أوسعُ من أن يُصرَّح فيه بالكذب**)(٥) .

واعلم : أنَّ من الصدق ما يقوم مقامَ الكذب في القبح والمَعرّة ، **ويزيد عليه في الأذىٰ والمَضرّة** ؛ وهو : الغِيبةُ ، والنَّميمةُ ، والسِّعايةُ .

---

(١) رواه البخاري (٣٩١١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/١٩٩) ، والشهاب في « مسنده » (١٠١١) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما ، **والمعاريض** ـ جمع معراض ـ : وهو التورية وإرادة غير الظاهر المتبادر من الكلام ، **والمندوحة** : السَّعة والفسحة ، **والمراد** : أن المعاريض يستغني بها الرجل عن الكذب .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٨٨٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٦١٩) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٩/ ١٥/ ٣٤٦) عن سيدنا أُبيّ بن كعب الأنصاريّ رضي الله عنه .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٥٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/ ٢٦٤) .

فأمّا الغِيبةُ : فإنَّها خيانة وهَتْكُ سِتر ، يحدُثان عن حسدٍ وغَدر .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ يعني : أنه كما لا يحلُّ لحمُه ميتاً . . لا تحلُّ غِيبتُه حيّاً .

ورُوي أنَّ امرأتين صامتا علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلتا تغتابان الناس ، فأُخبر بذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « صامَتا عمّا أُحِلَّ لهما ، وأفطرَتا علىٰ ما حُرِّمَ عليهما »[١] .

وروت أسماء بنت يزيد قالت : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَن ذَبَّ عن لحمِ أخيهِ بظَهْرِ الغيبِ . . كان حقّاً على الله تعالىٰ أنْ يُحرِّمَ لَحمَهُ على النارِ »[٢] .

وقال عديُّ بن حاتم : (الغيبةُ رعيُ اللِّئام)[٣] .

وكان الحسن البصري يقول : (الغِيبةُ فاكهةُ النُّسَّاكِ)[٤] .

وقال رجلٌ لابن سيرين : (إنّي اغتبتُكَ ، فاجعَلْني في حِلٍّ ؟ فقال : ما أحبُّ أن أحلَّ لك ما حرَّم الله عليكَ)[٥] .

وقال ابن السَّمّاك : (لا تُعِنِ الناسَ علىٰ عَيبِكَ بسوء غَيبِكَ) .

وقال الشاعر[٦] : [من البسيط]

لا تلتمِسْ من مَساوِي الناسِ ما سَتَروا ... فيَهتِكَ اللهُ سِتْراً مِنْ مَساوِيكا
واذكُرْ مَحاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا ... ولا تعِبْ أحداً منهُمْ بما فيكا

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (١٥٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤/ ٢٧٥) عن سيدنا عبيد مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه ، وكما قال الزمخشري : (أتزعم أنك صائم وفي لحم أخيك سائم ؟!) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٨٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٢٣٦) .

(٣) أورده في « بهجة المجالس » (١/ ٣٩٨) .

(٤) أورده في « الجليس الصالح » (١/ ٢٧٦) ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٦٠) من قول فضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ ، وفيهما : (فاكهة القراء) ، وفي (ب) : (فاكهة النساء) .

(٥) رواه الخرائطي في « مساوىء الأخلاق » (١٩٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/ ٢٦٣) .

(٦) البيتان لمحمود الورّاق في « ديوانه » (ص ١٥٨) .

وربَّما أعذر المغتابُ نفسَه بأنَّه يقول حقّاً ، ويُعلن فسقاً ، ويستشهد بما رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثةٌ ليسَتْ غِيبتُهُمْ بغِيبةٍ : الإمامُ الجائرُ ، وشاربُ الخَمْرِ ، والمُعلِنُ بفِسْقِهِ »[1] ، فيبعد من الصواب ، ويجانب الأدب ؛ لأنه وإن كان بالغيبة صادقاً . . فقد هتك سِتراً كان بصَونه أَولىٰ ، وجاهرَ مَنْ أسرَّ وأخفىٰ .

وربَّما دعا المغتابَ ذلك إلىٰ إظهار ما كان يستره ، والمجاهرة بما كان يضمره ، فلم يفِدْه ذلك إلا فسادَ أخلاقه من غير أن يكون فيه صلاحٌ لغيره .

وقد قيل لأنوشروان : (ما الذي لا خيرَ فيه ؟ قال : ما ضرَّني ولم ينفَعْ غيري ، أو ضرَّ غيري ولم ينفعْني ، لا أعلمُ فيه خيراً) .

وقيل في منثور الحكم : (لا تُبدِ من العيوب ما ستره علاّمُ الغيوب) .

وقد روى العلاء بن عبد الرحمـٰن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغِيبة ، فقال : « هو أنْ تقولَ لأخيكَ ما فيه ؛ فإنْ كنتَ صادقاً . . فقد اغتبْتَه ، وإنْ كنتَ كاذباً . . فقد بَهَتَّه »[2] .

وقال عبد الرحمـٰن بن زيد في قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾ : (إنه استهزاءُ المسلم بمَن أعلن بفسقه)[3] .

ودخلتِ امرأةٌ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم تستفتيه ، فلمَّا خرجت . . قالت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : يا رسولَ اللهِ ؛ ما أقصرَها !! فقال : « مَهْلاً ، إيَّاكِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٢٢٣) من قول إبراهيم النخعيّ رحمه الله تعالىٰ ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٧٤) من قول ابن عيينة رحمه الله تعالىٰ ؛ وفيه : (المبتدع) بدل : (شارب الخمر) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٩) ، وأبو داوود (٤٨٧٤) ، والترمذي (١٩٣٤) ؛ وفيه : (ذكرك أخاك بما يكره) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٣/٢٦/ ١٦٠) .

والغِيبةَ » قالت : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّما قلتُ ما فيها ، قال : « أجَلْ ، ولولا ذلكَ . . لَكانَ بُهتاناً »[1] .

وسُئل بعض الأدباء عن صفة اللئيم ، فقال : (اللئيمُ إذا غاب . . عاب ، وإذا حضر . . اغتاب)[2] .

فأمّا الخبرُ . . فمحمولٌ على الإنكار لأفعال هـٰؤلاء ، ولا يكون الإنكار غِيبةً ؛ لأنه نهيٌ عن منكَر ، وفرق بين إنكار المجاهر ، وغيبة المساتر .

وأمّا النَّميمةُ : فهي تجمعُ إلىٰ مَذمّة الغِيبة رداءةً وشرّاً ، وتضمُّ إلىٰ لؤمها دناءةً وغدراً ، ثم تؤول إلىٰ تقاطع المتواصلين ، وتباعد المتقاربين ، وتباغض المتحابّين .

وقد روىٰ شهرُ بن حَوْشَب ، عن أسماءَ بنت يزيدَ ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « ألا أُخبرُكُمْ بشِرارِكُمْ ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسولَ الله ، قال : « مِن شِرارِكُمُ : المَشّاؤُونَ بالنَّميمةِ ، المُفسِدُونَ بينَ الأحبّةِ ، الباغُونَ العُيُوبَ »[3] .

وروىٰ محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ملعونٌ ذو الوجهَينِ ، ملعونٌ ذو اللِّسانَينِ ، ملعونٌ كلُّ شَقّارٍ ، ملعونٌ كلُّ قَتّاتٍ ، ملعونٌ كلُّ مَنّانٍ »[4] .

الشَّقّارُ : المُحرِّش بين الناس يُلقي بينهم العداوةَ والبغضاءَ .

والقَتّات : النَّمّام . وقيل : إنَّ النَّمّام : هو الذي يكون مع القوم يتحدَّثون ،

---

(١) رواه ابن وهب في « الجامع » (٥٥٨) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (٢٠٨) بنحوه .

(٢) أورده في « غرر الخصائص » (٣٨٧) .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٢٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٥٩٦) ؛ وفيه : (الباغون البُرَآءَ العَنَتَ) .

(٤) أورده في « سراج الملوك » (٢/٦١٣) ، و« المستطرف » (١/٢٧٧) ؛ وفيه وفي (هـ) : (شَغّاز) ، والشَّغْزُ : الإغراء بين القوم ، وفي (ج ، د) : (شَغّار) ، يقال : اشتغرت الحرب بين الفريقين إذا اتسعت وعظمت .

فينُمُّ حديثَهم ، **والقتّات** : هو الذي يتسمَّعُ علىٰ قومٍ وهم لا يعلمون ، فينُمُّ حديثَهم ، **والمَنّان** : الذي يعمل الخيرَ ويمنُّ به .

وقيل في منثور الحكم : (**النَّميمةُ سيفٌ قاتلٌ**)(١) .

وقال بعض الأدباء : (**لم يمشِ ماشٍ شرٌّ من واشٍ**)(٢) .

وأمّا السِّعاية : فهي شرُّ الثلاثة(٣) ؛ **لأنَّها تجمع إلىٰ مَذمّة الغِيبة ولؤم النَّميمة التغريرَ بالنفوس** والأموال ، **والقدحَ في المنازل** والأحوال .

روى ابن قتيبة أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « **الجنّةُ لا يدخلُها دَيبُوبٌ ، ولا قَلّاعٌ** »(٤) .

فالدَّيبُوب : الذي يجمع بين الرجال والنساء ، سُمِّي بذلك **لأنَّه يدبُّ بينهم** .

والقَلّاع : هو الساعي الذي يقع في الناس عند الأمراء ، سُمِّي قَلّاعاً **لأنَّه يأتي الرجل المتمكِّن** عند الأمير ، فلا يزال يقع فيه حتىٰ يقلعَه .

وقال بعض الحكماء : (الساعي بين منزلتين قبيحتين ؛ **إمّا أن يكون صدق** . . فقد خان الأمانة ، **وإمّا أن يكون قد كذب** . . فخالف المروءة)(٥) .

---

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٥) .

(٢) أورده في « نهاية الأرب » (٣/ ٢٩٣) .

(٣) قال في « منهاج اليقين » (ص٤٤١) : (وقد وُجد في حكم القدماء : **أبغض الناس المثلث** ، قال الأصمعي : هو الذي يسعىٰ بأخيه إلى السلطان فيُهلك نفسه وأخاه وإمامه !!) .

(٤) أورده في « النهاية في غريب الحديث » (٢/ ٩٦) ، و« سراج الملوك » (٢/ ٦١٥) ؛ وفي النسخ ما عدا (أ) : (لا يدخلها ديوث) وهما بمعنىً .

(٥) في هامش (د) : (وحُكي : أن رجلاً جاء إلىٰ عبيد الله ابن زياد ، وقال له : إنَّ فلاناً سبَّكَ ، [فأحضر] الرجل ، وقال له : إنك سببتَني وهـٰذا يسمعُ ، فقال المسعيُّ به للساعي : [من الطويل]

وأنت امرؤٌ إمّا ائتمنتُكَ خالياً ... فخُنتَ وإمّا قلتَ قولاً بلا علمِ
فأنت من الأمر الذي كان بيننا ... بمنزلةٍ بينَ الخيانةِ والإثمِ)

والخبر أورده في « عيون الأخبار » (١/ ٤١) ، و« تاريخ دمشق » (٣٣/ ٣٥٩) عن ابن زياد ، ورواه في « روضة العقلاء » (٢/ ٦٨٣) عن زياد ابن أبيه ، والمسعيُّ به : عبد الله بن همّام السلوليّ .

وقال بعض حكماء الفرس : (**الصدقُ يَزينُ كلَّ أحد إلا السُّعاةَ** ؛ فإنَّ الساعيَ أذمُّ وآثَمُ ما يكون إذا صدق)[١] .

وقال بعض البلغاء : (**النَّميمةُ دَناءةٌ** ، **والسِّعاية رَداءةٌ** ، وهما رأسُ الغدر ، وأساسُ الشرِّ ، فتجنَّبْ سبيلَهما ، واجتنِبْ أهلَهما) .

ووقَّع الفضلُ بنُ سهل علىٰ قصّةِ ساعٍ سعىٰ إليه في رجل : (**نحن نرىٰ قبولَ السِّعاية شرّاً منها** ؛ لأنَّ السِّعاية دلالةٌ ، والقبولَ إجازةٌ ، **فاتَّقوا الساعيَ** ؛ فإنَّه إن كان في سِعايته صادقاً . . كان في صدقه آثماً ؛ إذ لم يحفظ الحُرمةَ ، ويستر العورةَ)[٢] .

وقال الإسكندر لساعٍ سعىٰ إليه برجلٍ : (أتحبُّ أن نقبل منك ما تقول فيه **علىٰ أن نقبل منه ما يقول فيك** ؟ قال : لا ، قال : **فكفَّ عن الشرِّ . . يكفَّ عنك الشرُّ**)[٣] .

وحكي : أن الله سبحانه وتعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام : (**إنَّ في بلدك ساعياً** ، ولست أمطرُك وهو في أرضك !! قال : يا ربِّ ؛ **دُلَّني عليه حتّىٰ أخرِجَه** ، فقال : يا موسىٰ ؛ **أكرهُ النَّميمةَ وأنُمُّ ؟!**)[٤] .

---

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧١٩/م) ، والخرائطي في « مساوىء الأخلاق » (٢٢٧) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٢/٢٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٣/١٥٧) ، ورواه في « حلية الأولياء » (٩/١٢٢) من قول الإمام الشافعي رضي الله عنه .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٢/٢٤) ، و« العقد الفريد » (٢/٣٣٣) .

(٤) أورده ابن قدامة المقدسيّ في « التوّابين » (ص ٨٠) .